1. **الكفاح الوطني ضد الميز العنصري في جنوب إفريقيا:**

**3-1- سياسة الميز العنصري (1910-1948) وردود الفعل الإفريقية :**

إن من بين القضايا التي شغلت العالم مع مطلع القرن العشرين مسألة التمييز العنصري التي ظهرت مع المستعمر الغربي الرأسمالي الذي يرى ضرورة أن يحكم الرجل الأبيض بقية الشعوب الملوّنة حتى يبرر للاستعمار اعتقادا منه بأنه من واجبه تمدين وتحضير هذه الشعوب، وأن هناك تفاوتا بين الأجناس وأن الجنس الأبيض هو أرقى وأنقى جنس، الأمر الذي يعطيه شرعية حكم واستعباد الآخر.

وقد بدأت فصول المشكلة منذ أن تمّ الإعلان عن قيام اتّحاد جنوب إفريقيا عام 1910م بعد أن تمت صياغة دستور هذا الاتحاد في ما بين عامي 1908 و1909م بشراكة البريطانيين والبوير وهذا على حساب الأغلبية الإفريقية، حيث كرّس سيطرة الأقلية البيضاء على حساب الأغلبية السوداء على أساس البشرة، كما حرم الإفريقيين من كامل حقوقهم السياسية والمدنية([[1]](#footnote-2))، وللحفاظ على مصالحها وتأمين مستقبلها سيطرت الأقلية البيضاء على مختلف المصالح الإدارية وإبعاد العناصر السوداء من مراكز صنع القرار سواء كانت سياسية أو اقتصادية ثم سنّت مجموعة قوانين كي تمنحها شرعية حكم الأفارقة وأن يصبحوا عمالا أجراء يخضعون لنظام السخرة.([[2]](#footnote-3))

لقد أصدرت حكومة الاتحاد قانون تراخيص المرور بعد صدور الدستور مباشرة والتي كان الهدف منها هو الحد من حرية تنقّل الإفريقيين من مكان إلى اخر الا اذا تلقوا تصريحا كتابيا يسمح لهم بذلك، ثم أصدرت تشريع قوانين العمل حيث أدّى إلى عدم تكافؤ الفرص بين البيض والسود وكرّست مبدأ السيد والخادم وحرمان الأغلبية السوداء من مزاولة النشاطات التي تتطلب الكفاءة، ولإبقاء الإفريقيين أميين أصدرت سلطات الاتحاد قانون التعليم المنفصل سنة 1926م، وهو الذي جعل اللون هو أساس الانفصال(1)، ولحرمان الإفريقيين من أراضيهم صدر قانون الأرض عام 1913م الذي منح البيض ما نسبته %88 من الأراضي الصالحة للزراعة بينما كان نصيب السكان الأصليين ما تبقى من الأراضي القاحلة، إضافة إلى قوانين نزع الملكية(2). كمـا تمّ التضييق على العمل النقابي الذي اعتبر عملا غير قانوني بـل هو جريمة يعاقب عليها القانون بموجب قرار صدر في مـاي 1947م، وللوقوف في وجـه حكومة الاتحاد قام الأفارقـة بتشكيل حزب المؤتمر الوطني الإفـريقي ( AFRICAN NATIONAL CONGRESS/ ANC ) في جـانفي 1912م، ويعد أقدم تنظيم مناهض للتفرقة العنصرية والتي بدأت بتجمع للمثقفين الإفريقيين للدفاع عن حقوقهم حيث طالب الحزب بمنح الإفريقيين حقوقهم المشروعة، كما شهدت جنوب إفريقيا ميلاد تنظيمات سياسية أخرى هي الحزب الوطني THE NATIONAL PARTY عام 1915م، حزب الانكاثا INKATHA FREEDOM PARTY عام 1975م، حزب المقاومة الأفريكانز : A.W.B عام 1976م، حزب العمل عام 1985م، الحزب الديمقراطي DEMOCRATIC PARTY عام 1989م. ([[3]](#footnote-4))

**3-2- نظام الأبارثيد : (1948-1994)**

يعني مصطلح الأبارثيد باللغة الأفريكانية والتي تعني الإفريقي بالهولندية([[4]](#footnote-5)) العزل SEPARATENESS أو الفصل APARTNESS، وفحوى هذا المصطلح التمييز العنصري RACIAL SEGREGATION بين البيض والملونين، وأصبح الأبارثيد سياسة تنتهجها حكومة الاتحاد بموجب قوانين وتشريعات([[5]](#footnote-6))، ففي عام 1949م أصدرت الحكومة قانون منع الزواج المختلط، كذلك قانون الدعارة لسنة 1950م والذي منع على غير البيض الاتصال الجنسي بهم، قانون تسجيل السكان رقم: 30 لعام 1950 الذي صنف الأشخاص حسب انتمائهم العرقي حيث حظى ربع السكان بالمعاملة الأفضل واعتبرهم عنصرا متفوقا على بقية العناصر الأخرى في حين عومل الباقي معاملة غير لائقة ([[6]](#footnote-7)).

أما فيما يخص النظام التعليمي فقد صدر قانون 1953م الذي كمل قانون 1926 الذي عدل عام 1959م وبموجبه كرس للفصل العنصري فكل ينتمي إلى مدارسه وجامعاته الخاصة، ثم ألحقت ذلك بقانون الفصل في الأماكن والمرافق العامة، ويمنع فيه على الإفريقي الجلوس في الأماكن المخصصة للبيض، والأمر نفسه ينسحب على الرياضة وقاعات السينما والمسارح، كما توجد حافلات خاصة بالبيض وأخرى خاصة بالإفريقيين، كما يمنع على الإفريقيين أن يستقلوا القطار الخاص بالبيض، كما كانوا ملزمين بحمل تصاريح الإقامة والعمل والتنقل، كما خصصت للسود أحياء سكنية عرفت بالجيتوهات ( المعازل ) يحرم عليهم مغادرتها([[7]](#footnote-8))، والذي لا ينصاع لهذه القوانين يعاقب عقابا شديدا.

لقد تجدّدت مطالب مناضلي حزب المؤتمر الوطني الإفريقي خاصة بعد أن ظهرت قيادات شبّانية نادت بفلسفة بعث قومي للشعب الإفريقي كان على رأسها نيلسون مانديلا.([[8]](#footnote-9))

**3-3- جهود مانديلا في القضاء على نظام الفصل العنصري :**

انتخب مانديلا عام 1947م عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب الوطني الإفريقي ممثلا عن إقليم الترنسفال لذا ركز في نضاله على فكرة التحرر من السيطرة البيضاء وبالتالي الوصول إلى الاستقلال السياسي.

خاض العمال الإفريقيون يوم 1 ماي 1949م إضرابا عن العمل قابلته سلطات الاتحاد بالقمع الذي سقط جراءه العشرات من القتلى والجرحى، ونتيجة لنشاط مانديلا المتزايد ألقي عليه القبض قبل نهاية عام 1952 بتهمة الانتماء للشيوعية، وتمت محاكمته يوم
2 ديسمبر من نفس العام وحكمت عليه بـــ 9 أشهر سجنا، وفي 31 مارس 1960 قرر حزب المؤتمر الوطني العصيان المدني، وذلك بعدم الامتثال لقانون المرور الذي صدر عام 1909 والذي عززه البيض وأسموه بقانون الوطنيين NATIVESACT([[9]](#footnote-10)) وذلك بإحراق تصاريح المرور، لكن الشرطة قامت بقمع الإفريقيين بكل وحشية كما أقدمت على حظره عام 1961.

وأمام التطورات الحاصلة وتزايد عمليات القمع والقتل تحول حزب المؤتمر من العمل السلمي إلى العمل المسلّح حيث تأسست منظمة أمكنتووي سيزوى (أمكا) وتعني رمح الأمة أو حرية الشعب SPEAR OF THE NATION وذلك يوم 16/12/1961 ([[10]](#footnote-11))، وكانت مهامها القيام بعمليات تخريب المؤسسات الحكومية وعدم إلحاق الأذى بالأرواح.

سافر مانديلا خارج البلاد ليعرف بقضية الإفريقيين ويفضح ممارسات حكومة الفصل العنصري اتجاههم .

وبعد عودته تم توقيفه في أوت 1962م بتهمة التحريض على العنف والسفر بدون وثائق سفر رسمية وحكم عليه هو ورفقائه بالسجن لمدة 5 سنوات في نوفمبر 1963م، كما أدين هو ورفاقه بتهمة القيام بأعمال تخريبية في 12/06/1964م وحكم عليه بالسجن مدى الحياة مع الأشغال الشاقة .

بعد أن تم حظر حزب المؤتمر الوطني الإفريقي عام 1961م([[11]](#footnote-12)) بقي الحزب يقود النضال من المنفى، ومع حلول سنتي 1972-1973م اندلعت المظاهرات الطلابية والإضرابات العمالية مما ألحق أضرارا كبيرة بقطاع الأعمال والصناعة التابعين للبيض([[12]](#footnote-13))، كما تجسدت في حركات منها : حركة الوعي الأسود 1976م، منظمة شعب أزانيا عام 1978م، وازدادت بالموازاة مع ذلك العمليات العسكرية ضد المصالح الحكومية الأمر الذي جعل سلطات الاتحاد تبحث عن مخرج سلمي للأزمة عن طريق الحوار، ومع بداية الثمانينات من القرن الماضي أطلق رئيس حزب المؤتمر في المنفى (أوليفر تامبو) بلوزاكا عاصمة زامبيا حملة لإطلاق سراح مانديلا ورفاقه، وأمام ضغط الشارع أسقطت مجموعة من القوانين الأبارثيد عامي 1985 و1986م، كما فتحت مع مانديلا قنوات الحوار وهو في سجنه، وأبدت الحكومة من جهتها نيتها في التعايش السلمي، كما أكد مانديلا على ضرورة محو نظام التمييز العنصري وعودة حزب المؤتمر إلى النشاط وإطلاق سراح كل المعتقلين والكف عن استخدام العنف ضد السود.([[13]](#footnote-14))

لقد دفعت الضغوطات الدولية سلطات نظام الميز العنصري يوم 01/12/1988م إلى إطلاق سراح مانديلا ووضعه رهن الإقامة الجبرية وبالفعل خطب الرئيس فريديريك دي كليرك يوم 02/02/1990 أمام البرلمان معلنا الإجراءات الأولية لتفكيك نظام الفصل العنصري والاستعداد لإقامة دولة ديمقراطية في جنوب إفريقيا تكون موطنا للجميع، رافعا الحظر عن حزب المؤتمر الوطني الإفريقي وكل التنظيمات السياسية الإفريقية الأخرى وتوقيف العمل بحالة الطوارئ([[14]](#footnote-15))، وفي 11 فيفري من نفس السنة أطلق سراح مانديلا بعد أن قضى في السجن 27 سنة ونصف وابداءا منه لحسن النية أعلن الحزب يوم 07/08/1990 توقيفه لخيار العمل العسكري ليعطي فرصة أمام الحل التفاوضي([[15]](#footnote-16))، وفي المقابل ردت حكومة دي كليرك بالعفو عن السياسيين المنفيين كما اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 19/12/1990 قرارا يطلب من سلطات جنوب إفريقيا مواصلة جهودها لإيجاد جو ملائم يشجع على المفاوضات معتبرة أن طريق السلام مازال طويلا وأن عملية التغيير تعترضها صعوبات ولا زالت في مرحلة مبكرة.([[16]](#footnote-17))

وبعد جولات من المفاوضات الماراطونية التى دامت حوالي السنتان، تم اقتراح قيام نظام دستوري جديد وتشكيل دولة ديمقراطية موحدة تقوم على أساس المواطنة بعيدا عن التمييز العرقي والديني، وكخطوة أولية من جانبها أقدمت الأمم المتحدة عام 1993 على رفع كل أشكال العقوبات على نظام دي كليرك.

وفي عام 1993 حصل مانديلا ودي كليرك على جائزة نوبل للسلام تثمينا لجهودهما لتحقيق المصالحة الوطنية، وفي 27/04/1994 جرت الانتخابات العامة والتي فاز بها حزب المؤتمر الوطني الإفريقي بأغلبية ساحقة مكنته من تشكيل الحكومة وأصبح مانديلا رئيسا لدولة جنوب إفريقيا وأدى اليمين الدستورية في 10 ماي عام 1994م، وبذلك تخلصت من إرث عنصري دام لأكثر من 80 سنة.

1. () أحمد طاهر: إفريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، القاهرة،(د، ت)، ص 147. [↑](#footnote-ref-2)
2. () ماهر عطية شعبان: المصادر الحديثة لدراسة تاريخ غرب و جنوب إفريقيا، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2011، ص92. [↑](#footnote-ref-3)
3. () رولاند أوليفر، جون فيج : المرجع السابق، ص 247. [↑](#footnote-ref-4)
4. () نفسه، ص 247. [↑](#footnote-ref-5)
5. () جورج جبور : "نموذج آخر للتمييز العنصري الاستعمار الاستيطاني في جنوب إفريقيا"، مجلة المعرفة، العدد : 117 – 118، كانون الأول 1971 – كانون الثاني 1972، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق، ص ص 97 - 98. [↑](#footnote-ref-6)
6. () عبد الوهاب دفع الله أحمد دفع الله : تاريخ الحركة الطلابية في جنوب إفريقيا ودورها في مناهضة التفرقة العنصرية 1945-1994، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، إشراف : محاسن عبد القادر حاج الصافي، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، السنة الجامعية 2005، ص 33. [↑](#footnote-ref-7)
7. () فيصل محمد موسى : موجز تاريخ افريقيا الحديث و المعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي، 1997، ص 310. [↑](#footnote-ref-8)
8. () نيلسون روليلا لا مانديلا: NELSON ROHLIHLAHLAMANDELA( 1918-2013) ولد بجنوب إفريقيا، إنضم عام 1944 إلى حزب المؤتمر الوطنى الإفريقي، تعرض للإعتقال لمرات عديدة، حكم عليه بالسجن مدى الحياة عام 1964.
(ينظر : " نيلسون مانديلا ": نيلسون مانديلا القائد- المحامي- السجين، تر: مختار السويفى، إتحاد المحامين العرب، القاهرة، ص ص 5 – 6). [↑](#footnote-ref-9)
9. () أحمد طاهر: المرجع السابق، ص 152. [↑](#footnote-ref-10)
10. () نيلسون مانديلا، المصدر السابق، ص 31. [↑](#footnote-ref-11)
11. () نفسه : ص ص 33، 36. [↑](#footnote-ref-12)
12. () وليد محمود عبد الناصر: " جنوب افريقيا و تصفية الأبارتيد "، مجلة السياسة الدولية، العدد 105، جويلية 1991، مركز الأهرام للدراسات، القاهرة، ص 671. [↑](#footnote-ref-13)
13. () وليد محمود عبد الناصر، المرجع السابق، ص 674. [↑](#footnote-ref-14)
14. () نفسه، ص 678. [↑](#footnote-ref-15)
15. () نفسه، ص 675. [↑](#footnote-ref-16)
16. () ماهر عطية شعبان: المرجع السابق، ص 118. [↑](#footnote-ref-17)